

تصور المرید للولي

يذكر لنا بعض الإخوة أن عندهم مثل هذا الولي، إذا تزوج أحد بامرأة؛ فإن عليه قبل أن يدخل بها أن يرسل بها إلى ذلك الولي، وتبثت معه ليلة مع الولي، وبطؤها ذلك الولي ليزيل بكارتها!! قبل أن يدخل بها زوجها؛ ليحصل بذلك الزوج على البركة!! بتدرك بأن مسها الولي قبله!! يُشاهِدُ هذا في كثير من الذين يدعون أنهم على طريقة أهل السر والولایة. فالإله عندهم - عند أهل زمان المؤلف - هو الولي الذي فيه هذا السر: سواء كان حياً أو ميتاً، ففي حياته يَبَرُّونَ به، ويتمسحون به، فيقولون: يا ولی الله! ادع لنا.. يا ولی الله! خذ بأيدينا.. أعطنا، هَبْ لنا!! وقد لا يكون مسلماً حقاً؛ فإن كثيراً منهم من هؤلاء لا يصلون.. لماذا؟ يقولون: سقطت عنهم التكاليف!! ذكروا أن أحد هؤلاء السادة - الذين يسمونهم سادة، وأولياء، وأصحاب سر، دخل المسجد يوم الجمعة، والناس يصلون؛ فبال في المسجد، ثم خرج، ولم يصل؛ فتبعوه، وقالوا: هذا ولی!! هذا من الأولياء، هذا قد وصل، وصل إلى الرتبة العالية! لما انكر بعض العامة عليهم، أو انكر عليه، قال له حَوَاضْهُمْ: هذا قد وصل، الشأن فِيَّ وفيك، نحن الذين لا نزال بعيدين!! أما هذا الذي وصل إلى هذه الرتبة؛ فإنه ولی من أولياء الله. ثم يذكرون أن من خواص الولي إذا مات، ووضع على النعش فإنه من حَوَاضِهِ - في نظرهم - أن الملائكة تحمله!! يوضع على الأكتاف ويقولون: إننا لا نحس بتنفسه.. حملته علينا الملائكة! يخلون إلى أتباعهم أنهم لم يحملوه!! وهذا كله خيال؛ حتى يوهّموهم أن هذا من أهل السر، ومن أهل الولاية، ثم بعد دفنه.. لا شك أنهم يعبدونه، ويَدْعُونَه، ويصرّفون له خالص حق الله، وإن لم يُسْمُوهُ إليها، وإنما يسمونه ولیاً، أو صاحب سرٍ. ثم أصحاب هذا السر يَدْعُونَ أنهم - هم وأتباعهم - مستغنو عن اتباع القرآن، وعن اتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن لهم أحوالاً. هذه الأحوال هي التي أوصلتهم إلى الرفique الأعلى؛ حتى لا يَقْبِلُوا كلام الله، ولا كلام الصحابة، ولا الأحاديث النبوية؛ وإنما يأخذون أسرارهم - في نظرهم -. وفي الآيات المشهورة التي ذكرها ابن القِيم في "إغاثة الهاشمي" ذكر قصيدة، أول ما يذكر منها قوله: ذهب الرجال، وجال دون مجالهم رُوْرٌ من الأولياء والآنذاك زالوا بأنهم على آثارهم ساروا .. ولكن سيرة الطبال! إلى أن قال: إن قلت: قال الله، قال رسوله همزوك همز المنكر المتكلمي أو قلت: قد قال الصحابة، والذي تبعوهم في القول، والأفعال أو قلت: قال الآل المصنفى صلى عليه الله أفضلي آل أو قلت: قال الشافعى ومالك وأبو حنيفة والإمام العالى أو قلت: قال أصحابهم منْ بعدهم فالكل عندهم كشبـه خيال ما يقلـون شيئاً من العلوم المأثورة، ثم قال: ويقول: قلبي قال لي عن سره عن سرّ سري، عن صفا أحوالى! عن حضرتى عن فكري عن خلوتى عن شاهدى عن واردى عن حالي! عن صفو وقتي، عن حقيقة مشهدى عن سرّ ذاتى، عن صفات فعالى دعوى إذا حفقتها أفيتها ألقاب زور لُفَقَتْ بمحال! هذه حالتهم: قلبي قال لي عن سره!! حدثنى قلبي عن ربى!! فأصحاب السر، وأصحاب الولاية غالاً فيهم العامة، وسموهم أولياء، وصرعوا لهم خالص حَقُّ الله؛ ولكنهم ما تجرءوا على تسميتها آلة؛ بل سموهم أولياء وسادة، وسموهم أصحاب سر. هذا هو الإله عندهم. حقيقة الإله: التاله. هو ما تفعلونه مع هؤلاء الذين سميتـهم أصحاب سر، الذى يقول أحدهم: حدثنى قلبي عن ربى: ويقول: قلبي قال لي عن سره عن سرّ سري، عن صفا أحوالى! فمثل هؤلاء كثروا في الأزمنة المتأخرة، ولما كثروا وصار لهم أنصار، صار أتباعهم يصرّفون لهم العبادة من دون الله. هذا في هؤلاء الذين سموهم أولياء.